

المقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا
مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .
والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الدعاة ، وخاتم النبيين ،
الذي أرسله الله داعياً إلى الله بإذنه ، فقال في حقه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وداعياً إلى الله بإذنه ،
وسراجاً مُنِيرًا ﴾ (٢) .

ورضى الله عن الصحابة والتابعين ، الذين دعوا بدعوته ، واهتدوا
بهديه ، وَعَمَّنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...
ويعد :

فقد اشتدت الحاجة اليوم إلى كتابة المداخل العلمية لمختلف العلوم
الضرورية الهامة ، تعريفاً للناس بها ، وتقريباً لموضوعاتها ومضامينها
من الدارسين لها . وكلما كان العلم أبعدَ عن حياة الناس ، وأكثر تنوعاً
في موضوعاته ، وأحدث نشأةً وتاريخاً من غيره ، كانت الحاجة إلى
كتابة مدخل إليه أكثر وأكبر ...

(١) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٢) الآية / ٤٥ - ٤٦ / من سورة الأحزاب .

ولما كان علم الدعوة من أحدث العلوم الشرعية نشأة ، وأخطر العلوم الإسلامية موضوعاً ، كان لابد من كتابة مدخل إليه يقربه من الدارسين له ، ويعرف به من يجهله .

فليست الدعوة الإسلامية حركة تلقائية عفوية ، ولا مجرد وعظ للناس ، وتذكير بفضائل الإسلام وآدابه فحسب - كما فهمها كثير من المسلمين ، ومارسها كثير من الدعاة في العصور المتأخرة - وإنما هي كما كانت في نشأتها الأولى حركة علمية وعملية ، تتميز في مبادئها وأهدافها ومصادرها ، وترتكز على أسس وقواعد علمية مدروسة ، وتنضبط بضوابط شرعية محددة ، فيختار لها أقوم المناهج ، وأحكم الأساليب ، وأفضل الوسائل ... إذ هي عمل صفوة الخلق سيدنا محمد ﷺ ، وعمل من سبقه من رسل كرام عليهم الصلاة والسلام ، وعمل من تبعه على هدى وبصيرة ...

قال تعالى :

﴿رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١) .

وقال سبحانه :

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...﴾ (٢) .

(١) الآية / ١٦٥ / من سورة النساء .

(٢) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

وقد أتى على الناس حينٌ من الدهر ، فهموا فيه الدعوة إلى الله مجردةً وعظيمةً وتذكير ، أو عبادةً وذِكْر ، أو عِلْم وتعليم ، أو حركة وجهاد ... وما إلى ذلك ، فَقَصَرُوا معناها العظيم الشامل على موضوعٍ من موضوعاتها أو جانب من جوانبها ، أو مظهر من مظاهرها ، ناسين أنها تشمل الخير كله ، فضعف في الناس أثرها ، وتَقَلَّص في الحياة خيرها ، وشابَّ كثيراً من مفاهيمها الشوائب . مما جعل المهمة صعبةً على الدعاة المصلحين ، والعلماء المجددين ، ليصححوا للناس مفهومها ، ويعودوا بها إلى وضعها الصحيح ، ويعيدوا بناء الأمة على أساسها ، فكانت تعترضهم في حركتهم الدعوية العقبات الداخلية من المسلمين أنفسهم ، خاصتهم وعامتهم ، قبل أن تعترضهم المشكلات الخارجية من أعداء الأمة المترصنين بها ، مما بَطَأ حركة الإصلاح ، وأخرُ عملية النهوض ... ولقد تنبهت بعض المؤسسات التعليمية إلى أهمية علم الدعوة ودراسته ، فَفَتَحَتْ بعض الجامعات الإسلامية أقساماً لعلم الدعوة ، وخصص له بعضها كليات مستقلة ...

ويوم افتتحت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشكورة المعهد العالي للدعوة الإسلامية في الرياض^(١) عام ١٣٩٦ هـ الموافق ١٩٧٦ م ، هَمَمْتُ بالانتقال إليه من كلية الشريعة التي كنت أعمل فيها شعوراً مني بأهمية العمل الدعوي ، والدراسات الدعوية ، ولكن عزمي على الاستقالة في العام التالي لافتتاحه ، والعودة إلى بلدي صرفني عن ذلك الانتقال ...

(١) أصبح اسم المعهد حالياً « كلية الدعوة والإعلام » .

ثم كتب الله لي أن أعمل في المعهد العالي للدعوة الإسلامية (١) في المدينة المنورة الذي افتتح كفرع لذلك المعهد عام ١٣٩٨ هـ الموافق ١٩٧٨ م ، ثم استقل عنه ، فقضيت فيه أكثر من عشر سنوات ومازلت ، ساهمت فيه بوضع المناهج الدعوية المتنوعة للمرحلة العليا والمرحلة الجامعية ، مع زملاء أفاضل ، وعلماء دعاة جاءوا من أكثر من بلد ، وحملوا معهم أكثر من تجربة مفيدة في ذلك . فزادت قناعاتي بأهمية العمل في هذا المجال العلمي ، وحاجته إلى دعم وتعميق ...

وكان من فضل الله علي في تلك السنوات ، أن أعيش أجواء دعوية علمية ، تزامن حركتي الدعوية العملية ، مما جعلني أستشعر أكثر وأكثر بأهمية دراسة هذا العلم ، وحاجة الدعاة إليه ، تأصيلاً لقواعده من جهة ، وتقويماً للمناهج الدعوة القائمة وأساليبها ووسائلها ، وتسديداً لمفاهيمها وأعمالها من جهة أخرى .

فكنت كلما وقفتُ على قاعدة دعوية ، أو بدأ لي مفهوم من مفاهيم الدعوة ، ذاكرتُ به من حولي دعاة وأساتذة ، وتدارسته مع طلابي في المرحلة العليا ، ودرسته لطلابي في المرحلة الجامعية كمذكرات دراسية أولية في هذا العلم ، مع توضيح ذلك لهم ، والتأكيد على أن ما أُمليه عليهم أو أدرسه لهم ، إنما هو في معظمه اجتهادات شخصية ، ودراسات أولية في سبيل تأصيل علم الدعوة ، وبلورة مصطلحاته ، وكثيراً ما أفدتُ من سؤال طالب ومراجعته ، ومن مناقشة زميل ومجادلته في مسألة من مسائل هذا العلم ، وماكنت أضيق ذرعاً - والحمد لله - بأي نقاش أو نقد في المجالس العلمية في المعهد ، أو في المناقشات العلمية للأبحاث والرسائل التي كنت أشرف عليها أو أناقشها ، وذلك رغبة في

(١) أصبح اسم المعهد حالياً « كلية الدعوة »

الوصول إلى الحق من جهة ، واستزادة من الوضوح في مسائل هذا العلم الناشئ من جهة أخرى .

وبعد مرور سنوات علي ، وأنا على هذه الحالة ، بدأتُ أشعر بضرورة كتابة شيء في هذا العلم ، وإمكانية مساهمتي بشيء فيه ، ورافق ذلك إلحاح بعض الأحبة والدعاة والزملاء علي في ذلك . فكننت أفكر يوماً بكتابة شيء عن مناهج الدعوة وأساليبها ، ويوماً بكتابة شيء عن وسائل الدعوة وأصولها ... نظراً لتوفر المادة الأولية فيها عن طريق المسودات الجاهزة لدي ، التي احتفظت بها كمذكرات طلابية خاصة .

ولما تعددت لدي المذكرات الدراسية ، ومارست عملياً تدريس معظم المواد الدعوية في المعهد ، ولأكثر من فصل دراسي ، واستقرت عندي بعض المعلومات والنتائج ، رأيت أن أعدل عن الكتابة في مادة من هذه المواد الدراسية ، إلى كتابة مدخل عام يتناولها جميعاً ، ويضع المعالم الأساسية لكل مادة منها ، ويلخص الأفكار والنتائج التي توصلت إليها ، لتكون جميعها في كتاب واحد ، وإطار منسجم يلخص الفوائد ، ويمنع التكرار والتداخل في الموضوعات ، ويوسع دائرة الانتفاع بها ، ويفتح الباب للكتابة مستقبلاً في كل مادة من مواد هذا العلم كتابة مستقلة تزيدها وضوحاً وتفصيلاً ... وذلك مبادرةً مني للعمر الذي شارق على الانتهاء ، وكسباً للهمة الضعيفة المتبقية من جهة ، واغتناماً للفرص العارضة في زحمة الأعمال والواجبات المتنوعة من جهة أخرى . ولاسيما أنني لم أقف على كتاب عام شامل يسد هذه الثغرة ، أو بحث مستوف لهذه الجوانب المتعددة في علم الدعوة ، وكل ما وقفت

عليه في ذلك من جهود علمية - على الرغم من فائدتها ونفعها - لاتعدو صنفين أساسيين من الكتابات :

أ - صنف يعالج قضية أو أكثر من قضايا الدعوة ، فلا يُعْطَى الحاجة المطلوبة ، ولعل أوسع ما وقفت عليه في ذلك كتاب « أصول الدعوة » للدكتور عبد الكريم زيدان - جزاه الله خيراً - الذي أراه أشبه مايكون بمدخل عام للدعوة .

ب - وصنف يأخذ الطابع الأدبي والوعظي ، ويبتعد عن الأسلوب العلمي ، مما قد يفيد العامة ، ولا يغني الخاصة ، مع ملاحظة التفاوت والتباين في المصطلحات ، والاضطراب والتنوع في التقسيمات ، التي تُعدُّ طابعاً عاماً لما وقفت عليه ، وذلك لجدة العلم وعدم استقرار مصطلحاته بين الدعاة من جهة ، ولأن مُعْظَم ما كتب من كتب دعوية ، لم يكتب للدارسين والمتخصصين في الدعوة من جهة أخرى .

ولا أريد بما قلته أن أنقص من قدر ما كُتِبَ ، وَمَنْ كتب ، فجزى الله الجميع خير الجزاء ، ولكنه بيان لطبيعة نشأة العلوم وتطورها ، فما من علم إلا وقد مر في مرحلة نشوئه بمثل هذه التطورات ، وأخذَ على ما كتب فيه قبل استقراره مثل هذه الملاحظات .

وإن عشرات السنين التي تمر في حياة العلوم ، وتُسهم في استقرارها على مختلف أنواعها ، ليست كثيرة إذا ما قيسَت بعمر العلم كله ، وأثره في حياة الناس .

فأسأل الله عز وجل أن يجعلني من الذين ساهموا في بناء صرح هذا العلم العظيم (علم الدعوة) ، وأن يُسَدِّدني في جميع ما أكتب فيه وفي غيره ، وأن يجزي خيراً جميع من سبقوا إلى الكتابة فيه ، والذين

يكتبون وسيكتبون في تكميل بنائه ، وتسديد أخطاء من سبقهم ، فإن المهمة كبرى ، والزمن كفيل بعون الله وفضله باستكمال النواقص ، واستدراك الأخطاء .

وسأبذل - إن شاء الله - جهدي في تأصيل كل مسألة أكتب فيها ، فأستدل عليها بالأدلة الشرعية ، والقواعد العلمية ، كما ألتزم بإحالة جميع ما أنقله إلى مصادره ، سواء أكان نصاً شرعياً ، أم حكماً اجتهادياً ، أم تجربة دعوية ... مستعيناً بالله ، وسائلاً إياه التوفيق والسداد ، وأن يتقبل هذا الجهد ، ويجعله خالصاً له ، وينفع به ، وأن يجعله ذخراً لي يوم ألقاه ...

والحمد لله رب العالمين

كتبها :

محمد أبو الفتح البيانوني

(المدينة المنورة)

* * *

قَائِمَةٌ بِمَوْضُوعَاتِ الْكِتَابِ

يشتمل كتاب المدخل إلى علم الدعوة على مايلي :

١ - المقدمة .

٢ - التمهيد : ويتناول :

- أ - تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ، وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى .
- ب - بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم الدعوة .
- ج - تحديد مصطلحات علم الدعوة .

٣ - الفصل الأول : تاريخ الدعوة وتطورها .

ويشتمل على مقدمة وأربعة مباحث ، هي :

- أ - الدعوة قبل الإسلام .
- ب - الدعوة في زمن الرسول ﷺ وزمن خلفائه الراشدين .
- ج - الدعوة في زمن الأمويين ، والعباسيين ، والعثمانيين .
- د - الدعوة في العصر الحديث .

٤ - الفصل الثاني : أصول الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ومبحثين ، هما :

أ - أدلة الدعوة ومصادرها .

ب - أركان الدعوة : الداعي - المدعو -

موضوع الدعوة .

٥ - الفصل الثالث : مناهج الدعوة .

ويشتمل على ثلاثة مباحث ، هي :

أ - التعريف بالمناهج الدعوية ، وبيان أنواعها وأهدافها .

ب - التعريف بالمناهج الثلاثة : العاطفي ،
والعقلي ، والحسي ، وبيان أساليبها ،
ومواطن استعمالاتها ، وخصائصها .

٦ - الفصل الرابع : أساليب الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ، وخمسة مباحث ، هي :

أ - أسلوب الحكمة : تعريفه ، مظهره ،
خصائصه .

ب - أسلوب الموعظة الحسنة : تعريفه ، مظهره ،
خصائصه .

د - أسلوب المجادلة : تعريفه ، مظهره ،
خصائصه .

د - أسلوب القدوة الحسنة : تعريفه ، مظهره ،
خصائصه .

هـ - الخصائص العامة للأساليب الدعوية .

٧ - الفصل الخامس : وسائل الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث ، هي :

أ - ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية .

ب - نماذج من الوسائل المعنوية .

ج - نماذج من الوسائل المادية .

د - الخصائص العامة للوسائل الدعوية .

٨ - الفصل السادس : مشكلات الدعوة وعقباتها .

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث ، هي :

أ - المشكلات الداخلية (الذاتية) .

ب - معالم عامة في طريق معالجة المشكلات
الداخلية .

ج - المشكلات الخارجية .

ب - معالم عامة في طريق معالجة المشكلات
الخارجية .

٩ - الخاتمة .

١٠ - الفهارس العامة .

* * *

التمهيد

ويشتمل على مايلي :

- ١ - تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ،
وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى .
- ٢ - بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم
الدعوة .
- ٣ - تحديد مصطلحات علم الدعوة .

١ - تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ، وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى :

اختلفت تعريفات علم الدعوة ، وتعددت لدى الكاتبين والباحثين ، تبعاً لاختلافهم في تحديد معنى الدعوة من جهة ، وتفاوت نظرتهم إليها من جهة أخرى ، فلم أقف حتى الآن على تعريف سابق دقيق شامل لحقيقة هذا العلم .

فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها تبليغ وبيان لما جاء به الإسلام فحسب ، وهناك من نظر إليها على أنها علم وتعليم ، وجردها عن الجانب التطبيقي والتنفيذي ... إلى غير ذلك من نظرات .

وهناك من عرفها تعريفاً عاماً يمزج بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة إليه ، كما فعل الأستاذ الشيخ محمد الراوي في كتابه « الدعوة الإسلامية دعوة عالمية » فقال : « هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات »^(١) .

وهناك من قصر التعريف على بعض جوانبها ، كما فعل الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه « الدعوة إلى الإصلاح » فعرفها بأنها : « حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل »^(٢) . واعتمد هذا التعريف الشيخ علي محفوظ في كتابه « هداية المرشدين »^(٣) . وكما فعل ذلك الدكتور

(١) انظر ص ١٢ .

(٢) انظر ص ١٧ .

(٣) انظر ص ١٤ .

أحمد غلّوش في كتابه « الدعوة الإسلامية » فقال عنها :
« العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى
تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشرعية وأخلاقاً ... »^(١) .

وهناك من أدخل في تعريف الدعوة أهدافها وغاياتها كما فعل
الأستاذ محمد الغزالي في كتابه « مع الله » فقال عنها : « برنامجٌ كامل
يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ، ليبصّروا الغاية
من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين »^(٢) .
وكما فعل الشيخ آدم عبد الله الأثوري في كتابه « تاريخ الدعوة بين
الأمس واليوم » فقال عنها :

« صرّف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم ، أو مصلحة
تنفعهم ، وهي أيضاً : نُدْبَةٌ لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها ،
أو من معصية كادت تحقّق بهم »^(٣) . وقد اختار هذا التعريف واستحسنه
الأستاذ : محمد خير رمضان في كتابه « الدعوة الإسلامية »^(٤) .

كما خلا كتاب الأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان « أصول الدعوة »
من تعريف علمي للدعوة ، وشمل كتابه هذا الحديث عن الإسلام والدعوة
إليه ...

كل هذا دعاني إلى أن أنظر في تعريف الدعوة نظرة جديدة
مستقلة ، أتبع فيها مسالك العلماء السابقين في تعريفاتهم للعلوم ،

(١) انظر ص ١٠ .

(٢) انظر ص ١٧ .

(٣) انظر ص ١٧ .

(٤) انظر ص ١٢ .

وأتجنب في ذلك الأسلوب الأدبي والخطابي ، فأقول :

لا بد للوصول إلى تعريف دقيق شامل لعلم الدعوة ، من الوقوف على تعريف كل من المضاف والمضاف إليه في هذا الاسم ،

فالعلم في اللغة : « إدراك الشيء بحقيقته » ^(١) أو هو « أدراك الشيء على ما هو به » ^(٢) ويُطلق العلم في الاصطلاح على « مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة ، كعلم الكلام ، وعلم النحو ، وعلم الأرض ، وعلم الكونيات ، وعلم الآثار ، وجمعها علوم ... » ^(٣) .

والدعوة في اللغة : « الطلب ، يُقال : دعا بالشيء : طلب إحضاره ، ودعا إلى الشيء : حثه على قصده ، يُقال : دعا إلى القتال ، ودعا إلى الصلاة ، ودعا إلى الدين ، وإلى المذهب : حثه على اعتقاده وساقه إليه » ^(٤) .

ويمكننا استخلاص المعنى الاصطلاحي للدعوة من معناها اللغوي السابق وهو « الطلب والحث على الشيء ، والسوق إليه ... » فيتضمن معنى الدعوة إلى الإسلام طلب الناس وسوقهم إليه ، وحثهم على الأخذ به ،

ولكي يشمل تعريف الدعوة الإسلامية مراحل الدعوة الثلاث : التبليغية ، والتكوينية ، والتنفيذية من جهة ، ولكي يحتوي على عناصر عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وعمل نبينا محمد ﷺ خاصة

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (علم) (٦٣٠/٢) .

(٢) انظر « التعريفات » للجرجاني ص : ١٥٥ .

(٣) انظر « المعجم الوسيط » مادة (علم) (٦٣٠/٢) .

(٤) انظر « المعجم الوسيط » مادة (دعا) (٢٨٦/١) .

من جهة أخرى ... أرى أن تُعرَّف الدعوة الإسلامية اصطلاحاً بأنها :
« تبليغُ الإسلام للناس ، وتعليمُهُ إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة »
فقد بين الله عز وجل عمل رسوله ﷺ ، الداعية الأول للإسلام ،
وفصله بما يشمل هذه العناصر الثلاثة في أكثر من موضع في كتابه ،
فقال سبحانه وتعالى :

﴿ هو الذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ،
وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١) .

فقد شمل قوله سبحانه ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ البيان والتبليغ وهو
العنصر الأول من عناصر الدعوة ، كما شمل قوله ﴿ يزكيهم ويعلمهم
الكتاب ﴾ التربية والتعليم ، أو ما يُعبَّر عنه عادة في المصطلح الدعوي
« التكوين » ، كما شمل قوله : ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة ﴾
التطبيق والتنفيذ ، لأن الكتاب هنا القرآن الكريم ، والحكمة هنا : السنة
النبوية - كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء (٢) ، والسنة في حقيقتها
(الطريقة) أي : طريقة تطبيق هذا القرآن ، فقد أوضحت السنة للمسلمين
طريقة تطبيق القرآن على مستوى الأفراد والجماعات ...

ولا أنسى أن أشير هنا : إلى أن هذا التعريف الذي توصلت إليه

(١) الآية ٢/ من سورة الجمعة ، وانظر الآية /١٦٤/ من سورة آل عمران ، والآية / ١٢٩ -
١٥١ / من سورة البقرة .

(٢) انظر على سبيل المثال « الرسالة » للإمام الشافعي ص ٣٢ وما حولها ، وتفسير هذه الآية
في أمهات التفاسير .

في تعريف « علم الدعوة » قاربه بعضُ الكاتِبين والباحثين في هذا العلم ، وإن لم تخل تعريفاتهم - في نظري - من شيء من التعميم والغموض الذي لا يصلح في التعريفات .

فقد سبق أن عرف الدعوة الأستاذ بهي الخولي بقوله : « نقل الأمة من محيط إلى محيط »^(١) وعرفها الدكتور رؤوف شلبي بقوله : « الحركة الإسلامية في جانبها النظري والتطبيقي »^(٢) .

كما لا أنسى أن أشير أيضاً إلى أن الدعوة تُطلق أحياناً على الإسلام نفسه المدعو إليه ، ولعلَّ منه قوله تعالى :

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ... ﴾^(٣) فقد ذكر الإمام ابن الجوزي - رحمه

الله - عند تفسيره لهذه الآية أن فيها قولين : « أحدهما : أنها كلمة التوحيد وهي : لا إله إلا الله ، قاله عليّ وابن عباس والجمهور ، فالمعنى : له من خلقه الدعوة الحق ، فأضيفت الدعوة إلى الحق لاختلاف اللفظين والثاني : أن الله عز وجل هو الحق ، فمن دعاه دَعَا الحق ، قاله الحسن »^(٤) .

إلا أن لفظ الدعوة إذا أُطلق ينصرف عرفاً إلى المعنى الأول الذي عرفناها به وهو « الدعوة إلى الإسلام » وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

(١) انظر « تذكرة الدعاة » ص ٣٨ .

(٢) انظر « الدعوة الإسلامية في عهدها المكي » ص ٣٨ .

(٣) الآية / ١٤ / من سورة الرعد .

(٤) انظر « زاد المسير في علم التفسير » (٣١٧/٤) ط المكتب الإسلامي ، وتفسير ابن

كثير (٥٠٧/٢) ط دار المعرفة .

ومما سبق بيانه ، يمكننا تعريف عِلْمِ الدعوة بعد أن أصبح علماً على علم معين ، بأنه :

« مجموعة القواعد والأصول التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه » .

وفي ختام الحديث عن تعريف علم الدعوة أود أن أناقش شبهة من قَصَرَ معنى الدعوة على التبليغ والبيان فحسب ، ونظر إلى التعليم والتطبيق نظرته إلى أمور خارجة عن الدعوة ، مستشهداً لذلك بمثل قوله تعالى :

﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ ^(١) وقوله ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ ^(٢) ، فاهماً أن هذه الآيات وأمثالها تحصر عمل الرسل الكرام والدعاة في جانب التبليغ فقط . وللإجابة عن هذه الشبهة أقول :

إن هذه الآيات القرآنية وأمثالها وردت في سياق إعراض الناس عن الدعوة ، فحيث يُعرضُ المدعوون عن الدعوة لا يُكَلِّفُ الرسل الدعاة إلا بالبيان والتبليغ فقط ، أما الهداية فإنما هي على الله سبحانه وتعالى ، ولا يملكها إلا هو .

أما حين يستجيب المدعوون للدعوة ، ويقبل الناس على الإسلام ، فعلى الداعية تعليمهم دينهم ، والسعي لتطبيق هذا الدين في حياتهم ، كما كان يفعل النبي ﷺ مع من استجاب له في مكة المكرمة ، حيث كان

(١) الآية / ٩٩ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٥٤ / من سورة النور ، و / ١٨ / من سورة العنكبوت .

يجتمع بهم في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ليعلمهم دينهم ويزكيهم ^(١) ،
وكما كان يفعل إذا أسلم شخص عنده ، فيقول لأصحابه : « فَقَّهُوا أَخَاكُمْ
في دينه ، وعلموه القرآن ... » ^(٢) .

ولو أمعنا النظر في الآيات نفسها التي استدل بها المشتبه ، لرأينا
معظمها يصرح بهذه الحقيقة ، ويعلق حصر عمل الرسول بالبلاغ بإعراض
الناس وتوليهم ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ ^(٥) .

وبهذا تجتمع دلالة هذه الآيات القرآنية مع دلالة الآيات الأخرى
التي نصت على أعمال أخرى للرسول الكريم من تلاوة لآيات الله ،
وتزكية وتعليم للكتاب والحكمة ، كما تنسجم مع الواقع العملي لدعوة
الرسول ﷺ في حياته ، وواقع دعوة صحابته وأتباعه من بعده .

ولقد أسهبت في دفع هذه الشبهة ، وحرصت على توضيح عمل
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والدعاة من بعدهم ، نظراً لما ترتب على
مثلها من مواقف خاطئة ونظرات قاصرة لعمل الدعوة في العصر الحاضر .
فقد قَصَرَ بعض إخواننا الدعاة عملهم على جانب حتى عُرِفُوا به ظانين

(١) راجع « السيرة النبوية » لابن هشام (٢٥٣/١) في الحاشية .

(٢) راجع « البداية والنهاية » (٣١٣/٣) و « حياة الصحابة » (١٩٣/١) .

(٣) الآية / ٢٠ / من سورة آل عمران .

(٤) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

(٥) الآية / ٤٨ / من سورة الشورى .

أنه عمل الأنبياء فحسب ، بل نظر بعضهم إلى غيرهم من الدعاة الذين يُعنون بالعلم والتعليم ، أو بالتطبيق والتنفيذ ، نظرة استخفاف ونقد ، كما نظر بعض المعتنين بالعلم والتعليم ، أو التنفيذ والتطبيق لأولئك المبلغين نظرة استخفاف أيضاً ، فوجهوا لهم النقد الشديد في توجيههم ودعوتهم ، دون أن يفهم بعضهم بعضاً ، ويقدر بعضهم قدر بعض ، مما زاد المسلمين بعداً وفرقة ،

ولو علم هؤلاء وهؤلاء أنه يَسَعُ الداعية أن يعمل في الميدان الذي يختاره ، والعمل الذي يناسبه من أعمال الدعوة مراعيّاً في ذلك إمكاناته واستعداداته من جهة ، أو مقدماً أولوية على غيرها في نظره من جهة أخرى ، على أن لا يقصر مفهوم الدعوة الإسلامية على عمله واختياره ، أو ينظر إلى من خالفه في ذلك نظرة ابتداع أو خروج عن عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالميدان الدعوي واسع ، وجوانب العمل متعددة ، والمسؤولية أكبر من أن تقوم بها جماعة من الجماعات ، والثغرة أوسع من أن يَسُدّها عملٌ من الأعمال .

فلو علم الطرفان هذه الحقيقة ، وفهموها فهماً متوازناً ، لشكر بعضهم جُهدَ بعض ، ونظر كل طرف إلى العاملين الآخرين في أي مجال دعوي نظرتة إلى أعوانه وشركائه .

وأختم حديثي عن هذه المسألة بمقولة كرّمت ، وحكمة عظيمة سمعتها شخصياً من الداعية المشهور الأستاذ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - وذلك قبل وفاته بسنوات في مكة المكرمة ، حيث زرتُه في فندق « شبرا » في مكة المكرمة ، وسألته في جلسة خاصة عن رأيه في « جماعة التبليغ » التي نشأت في الهند ، وانتشرت في كثير من بقاع الأرض ،

والتي سمعتُ من بعض أفرادها نقداً لعمل الأستاذ المودودي ، وأنه ترك الدعوة ، وعمل في السياسة والحكم ، فقال لي بلسان عربي بطيء كلمات قليلة تصلح درساً لجميع الدعاة ، وأغودجاً صالحاً لنظرة كل عامل وداعية إلى غيره ، قال :

« إنهم يَسُدُّونَ عنا ثغرةً لَنَسْتَطِيعَ سَدُّهَا ، وَلَنَنْتَقِدَهُمْ ، ومنهم من يَنْتَقِدُنَا » .

ولَنَسْتَطِيعَ أن نصل إلى مثل هذا التوازن في النظرة إلى الآخرين ، إلا إذا فهمنا الدعوة الإسلامية فهماً واسعاً شاملاً لجميع أعمال الرسول ﷺ ، ولعل تعريفنا الذي توصلنا إليه في تعريف الدعوة يُساعد على ذلك التصور الشامل ، والمفهوم الصحيح ، والله المستعان .
هذا عن تعريف علم الدعوة .

أما نشأة علم الدعوة :

فقد بدأت الدعوة الإسلامية أول ما بدأت علماً وعملاً ، إذ قام رسول الله ﷺ بين الناس داعياً إلى الله ، يتلو عليهم آياته ، وَيُعَلِّمُ من استجاب منهم لدعوته الكتابَ والحكمةَ وَيُزَكِّيهِمْ ...

وتحمّل رسول الله ﷺ في سبيل ذلك ما تحمّل ، وصبر وصابر حتى أظهر الله دينه ، وأعلى كلمته ، وَحَقَّقَ للمؤمنين وعده :

﴿ هو الذي أرسلَ رسوله بالهدى ودينِ الحقِّ ، ليُظهِرَهُ على الدينِ كُلِّهِ ، ولو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

(١) الآية / ٣٣ / من سورة التوبة .

فَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ صَحَابَتُهُ الْأَكْرَمُونَ ، وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ ، فَكَانُوا هَادِينَ مُهْدِيَيْنَ ، تَابِعُوا الْمَسِيرَةَ ، وَحَمَلُوا الْأَمَانَةَ ... وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمُ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، فَاقْتَفَوْا آثَارَهُمْ وَقَامُوا بِوُظُفِهِمْ حَقَّ الْقِيَامِ ... ثُمَّ تَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ أَجْيَالٌ وَأَجْيَالٌ ، نَشَرُوا هَذَا الْإِسْلَامَ ، وَبَلَّغُوا فِيهِ كُلَّ مَبْلَغٍ ، وَتَضَافَرَتْ عَلَى حَمْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي تِلْكَ الْعُصُورِ جَمِيعُ الْجُهُودِ الْفَرْدِيَةِ وَالْجَمَاعِيَةِ ، حَيْثُ كَانَ الْفَرْدُ الْمُسْلِمُ يَرَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ حَيَاتَهُ وَمَنَاطَ سَعَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَا يَصْرِفُ عَنْهَا صَارْفٌ ، وَلَا يَشْنِيهِ عَنِ الْقِيَامِ بِوَاجِبِهَا عَقَبَةٌ مِنَ الْعَقَبَاتِ ، فَيَبْذُلُ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِ كُلَّ شَيْءٍ .

كَمَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ الْمُسْلِمَةُ تَرَى الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ أَوْلَى وَظَائِفَهَا وَأَهَمَّ وَاجِبَاتِهَا ، بَلْ تَرَى الدَّعْوَةَ سِرًّا وَجُودَهَا وَقِيَامَهَا ، فَكَانَتْ لِلدَّعْوَةِ تُخَطُّطُ ، وَلِصَالِحِهَا تَتَحَرَّكُ دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا ، تَحْفَظُ الْأَحْكَامَ ، وَتُطَبِّقُ النِّظَامَ ، وَتَقِيمُ الْحُدُودَ ، وَتُرْسِلُ الدَّعَاةَ ، وَتَسْتَقْبِلُ الْوُفُودَ ، وَتَسُدُّ الثُّغُورَ ، وَتُنْفِذُ الْجِيُوشَ ، وَتُعَدُّ الْعُدَّةَ ...

كُلُّ هَذَا جَعَلَ الْمَجْتَمَعَ الْإِسْلَامِي بِكُلِّ وَحْدَاتِهِ وَمُؤَسَّسَاتِهِ مَجْتَمَعًا دَعْوِيًّا يَعْمَلُ لِصَالِحِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، وَيَحَقِّقُ مَا وَصَّاهُ اللَّهُ بِهِ بِقَوْلِهِ :

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾^(١) .

(١) الْآيَةُ / ٤١ / مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ .

ومجتمعُ كهذا المجتمع ، لم يكن في حاجة ليزبر فيه علم خاص يُعرف بعلم الدعوة ، أو توجد فيه مؤسسات دعوية ، وأخرى غير دعوية ! حتى خلف في المسلمين خَلْف ، أضاعوا كثيراً من تلك الخصائص وغفلوا عن كثير من هذه الواجبات ، فكانت هناك مجتمعاتٌ كَثُرَ فيها القاعدون ، وقلَّ فيها الدعاة العاملون ... كما نمت فيها مفاهيم مغلوطة فصلت العلم عن العمل ، وأضاعت بركته ، وأفرزت عناصر تهتم بالعلم على حساب العمل ، وأخرى تعمل على جهل ، وذلك على مختلف المستويات الفردية والجماعية ، فتتابعت بذلك على المسلمين المصائب ، وفقدت الدعوة كثيراً من حيويتها وحركتها ، إلى أن طُعِنَت الدعوة الإسلامية في أعلى مؤسساتها ، وأقوى دعائنها بسقوط الخلافة الإسلامية ، فكانت قاصمة الظهر .

ثم استيقظ بعض المسلمين من غفلتهم ، وعرفوا عِظَم مصيبتهم ، واجتهدوا في النهوض بدعوتهم ، فكانت هناك محاولات فردية وجماعية ، وتعددت في سبيل ذلك الاجتهادات العلمية والعملية ، وانبثقت الحاجة الجديدة إلى وجود عِلْم يعرف بعلم الدعوة ، يعتمد على فهم الكتاب والسنة ، ويقوم على سَنَنِ النبوة الطاهرة ، والخلافة الراشدة ، ويستنير بالتجربة الطويلة الرائدة لرحلة الدعوة على مدى العصور والأزمان ، ويعود بالمسلمين إلى وظيفتهم التي أخرجوا بها للناس ، قال تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ (١) .

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

فكتبَ حول الدعوة الكاتبون والدعاة ماكتبوا ، وقدموا لخدمة هذا العلم ماقدموا ، حتى قامت باسم الدعوة منظماتٌ ومؤسسات ، وعُرفَ بها أفراد وجماعات ، وأصبحنا في عصر صارت فيه الدعوة علماً من العلوم المتعددة ، له مؤسساته التعليمية ، ومناهجه الدراسية ... وبرزت الحاجة إلى هذا العلم مُلِحَّةً ، نظراً لما يكتنف العمل الدعوي الحالي من غموض في بعض مفاهيمه ، وخلل واضطراب في بعض أصوله وقواعده ، ومعاناة كبيرة من قصور مناهجه ، وخطأ أساليبه ، وضعف وسائله ...

ولايزال هذا العلم الناشئ - كما أشرت في المقدمة - بحاجة ماسة إلى تأصيل موضوعاته ، وتحديد مصطلحاته ، وتصحيح تطبيقاته ، وما إلى ذلك ، شأنه في ذلك شأن أي علم جديد ناشئ . ولعل هذا المدخل يُساهم في تحقيق هذه الأهداف ، ويسد حاجة من هذه الحاجات .

هذا عن نشأة علم الدعوة ،

أما عن علاقته وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى :

فلا شك في أن العلوم الشرعية قد تعددت وتنوعت بحسب موضوعاتها ، فكل علم من هذه العلوم يبحث في جانب من جوانب علوم الإسلام الكامل الشامل .

وإن الناظر في طبيعة ونشأة العلوم الإسلامية المتعددة يجدها ترجع إلى أحد أمور ثلاثة جاء بها هذا الإسلام ، وهي : المِلَّة ، والشرعة ، والمنهج ، التي يجمعها اصطلاح (دين) أو (إسلام) .

فقد تعبد الله عز وجل عباده بهذه الأمور جميعاً ، وبَيَّن أن الملة واحدة ، والشرائع والمناهج متعددة ، فقال سبحانه مبيناً وحدة الملة : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وما كان من المشركين ﴾ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ قل إنني هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، دِيناً قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وما كان من المشركين ﴾ * قل إن صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ ، وبذلك أُمِرْتُ ، وأنا أول المسلمين ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ إني تركتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وهم بِالْآخِرَةِ هم كَافِرُونَ ﴾ * واتبعت مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، ما كان لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ، ذلك من فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ (٣) .

كما قال الله تعالى مبيناً تعدد الشرائع والمناهج :

﴿ إنا أنزلنا التوراةَ فيها هُدىً ونورٌ ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ، وَالرِّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بما اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ... إلى أن قال :

(١) الآية / ١٢٣ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٦١ - ١٦٣ / من سورة الأنعام .

(٣) الآية / ٣٧ - ٣٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

وقَفَّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ، مصدقاً لما بين يديه
من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونوراً ، ومصدقاً لما بين يديه
من التوراة ، وهدى وموعظةً للمتقين .. إلى أن قال :

وأَنزَلنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ ،
وْمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ
عَما جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً ، وَلَوْ شاءَ
اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكن لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ، فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿ ١١ ﴾ .

وسبأتي معنا قريباً في هذا التمهيد بيان معنى كلٍّ من الملة والشرعة
والمنهج تفصيلاً عند الكلام عن مصطلحات علم الدعوة — إن شاء الله —
ويكفي هنا أن نعلم بأن دراسة (الملة) أصبحت من اختصاص
أقسام العقيدة في الجامعات الإسلامية اليوم ، كما أن دراسة (الشرعة)
أصبحت من اختصاص أقسام الكتاب والسنة ، وأقسام الفقه والأصول ،
وأصبحت دراسة (المنهج) من اختصاص أقسام الدعوة .

وإن هذه الدراسات جميعها تمثل دراسة الدين الواحد الذي يشمل
كلًّا من الملة والشرعة والمنهج .

لهذا ، كان أي فصلٍ كامل بين هذه الدراسات ، أو العناية بوحدة
منها على حساب الأخرى ، يُعدُّ فصلاً بين أجزاء مترابطة ، لا يصح الدين
ولا يَكْمُل ولا يَسْلُم إلا بها جميعاً .

(١) الآية / ٤٤ — ٤٨ / من سورة المائدة .

فالداعية إلى الله يدعو إلى كل من الملة والشريعة والمنهج ، والدارس للملة والشريعة لابد له من معرفة المنهج والطريق الصحيح لذلك ، فكل اختصاص من هذه الاختصاصات مفتقر إلى غيره ، وإذا كان ثمة من فارق ، فإنما هو في نوعية التخصص من جهة ، ومدى عناية أصحاب كل تخصص بتعميق وتأصيل بعض المواد العلمية المتعلقة بتخصصهم أكثر من بعض المواد الأخرى من جهة أخرى .

فإذا كانت أقسام العقيدة تُعنى أول ماتعنى بدراسة العقيدة التي تتناول أصول الملة وفروعها ، ودراسة الملل والنحل الأخرى ، فإنه لاغنى لدارس العقيدة عن دراسة الأحكام الشرعية ومعرفتها ، وعن بصيرة بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه العقيدة ويدعو به إليها ، لتسلم له عقيدته ، ويعلم كيف يدعو إليها ويعلمها ويطبقها في حياته ... وإلا كانت دراسته نظرية مجردة .

وإذا كانت أقسام القرآن والسنة ، وأقسام الأصول والفقه ، تُعنى أول ماتعنى بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف ، وبدراسة أصول الفقه وأحكام الفقه ، فإنه لاغنى لدارس هذه العلوم من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة التي تُعدُّ أساساً لها ، ومن بصيرة بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه الشريعة ، ويدعو به إليها ويعلمها للناس ويعمل على تطبيقها في حياتهم ، وإلا كانت عباداته جافة ، وأضحت دراسته للكتاب والسنة نظرية مجردة .

وإذا كانت أقسام الدعوة تُعنى أول ماتعنى بدراسة تاريخ الدعوة وأصولها ، والتعرف على مناهجها وأساليبها ووسائلها وما إلى ذلك ... فإنه لاغنى لدارس الدعوة من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة ، وإمام

واف بالأحكام الشرعية العملية ، لتسلم له عقيدته وشرعته من جهة ، ويكونَ على بصيرة بما يدعو إليه من جهة أخرى . وإلا كانت دعوته إلى ضلال ، وعمله في غير هدى ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ (١) .

ومن هنا يتبينُ لنا : أن اختلاف الأقسام العلمية في ترتيب أولياتها ، وفي تقديم مادة علمية على غيرها ، إنما يعود إلى واقع تخصصها وطبيعة ميدانها فحسب ، ولا صلة له بتفضيل علم على علم أو ترجيح تخصص على غيره ، بل لا بد لكل قسم من هذه الأقسام أن يُقدِّم للدارسين فيه الحد الأدنى الكافي من العلوم الأخرى ، وإن لم تكن من تخصصه في الأصل ...

ويمكنني أن أضرب مثلاً حسياً يبرز لنا صلة هذه الاختصاصات العلمية بعضها ببعض ، ويكشف لنا عن مدى الترابط بينها :

فإن مثل الملة والشرعة والمنهج ، مثلُ الماء الصافي الذي ينبع من مكان معين ، ثم يمشي في جداول وسواقي يروي الأرض ، وينبت الزرع ، ويستقي منه الناس ...

فأصل النبع ومكانه يمثل (الملة الواحدة الثابتة) ، والماء المتدفق الجاري الذي يروي الأرض وينبت الزرع ويستقي منه الناس ، يمثل (الشرعة الكاملة المستمرة ...) والجداولُ والسواقي المنتشرة هنا وهناك ، التي يجري الماء في إطارها ، ويتمكن الناس بسببها من الاستفادة من الماء

(١) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

على وجه متكامل صحيح ، تمثل المنهج الواضح .

فإن أي ضَعْفٍ أو ضمور في النبع ومصدر الماء ، يؤثر تأثيراً كبيراً في كمية الماء الذي يصدر عنه ، فيضعفُ سَيْرُهُ في الجداول والسواقي ، وتقلُّ فائدته ، وقد تُصاب مناطق كثيرة بسبب ذلك بالجفاف والجذب ... كما أن أي رافدٍ غريب قد يَرُقْد هذا النبع ، يعكر من صفو الماء ، ويخرجه عن طبيعته الأولى ...

وأي خَلَلٍ في الجداول والسواقي التي تشكل طريق هذا الماء ، قد يُبعثر انتشاره ، ويقلل من الاستفادة منه ، كما قد يضر انتشاره حيث لا يراود انتشاره فيه ، أو يتأخر وصوله إلى المكان الذي ينتظره بسبب ذلك ، وهكذا ...

فإنه بقدر حرصنا ومحافظتنا على سلامة المنبع وبقائه ، وسلامة الجداول والسواقي وكثرتها ، يمكننا أن نحافظ على صفاء وقوة تدفقه ، وعظم آثاره وفوائده ، ويقدر إهمالنا لذلك المنبع ، أو غفلتنا عن تلك الجداول نُعاني من تكدر الماء وتغير طبيعته ، وقلة تدفقه وضعف أثره .

* * *

٢ - بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم الدعوة :

أ - بيان حكم الدعوة :

اتفق العلماء على وجوب الدعوة ، واختلفوا في نوعية الوجوب ، هل هو على التعيين ، أم على الكفاية ؟ وتوسع كل طرف في الاستدلال على قوله بالنصوص الشرعية والأدلة العقلية ، مما قد يُشعرُ المطلع على هذا الخلاف والاستدلال بالبعد بين القولين ، والأثر الكبير لهما في جانب العمل . والذي رأيته بعد متابعة القولين وأدلتهما أن الخلاف بينهما أشبه بالخلاف النظري ، وتَضيقُ المسافةُ بينهما في الجانب العملي . وقبل أن أقرر هذه النتيجة ، لا بد من إمامة مجملة بأصل الخلاف في المسألة مع الاستدلال عليها . فأقول :

استدل العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها :

١ - بأن لفظة « من » في قوله تعالى ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) . هي : للبيان والتبيين ، وليست للتبعية وذلك بقرينة الأدلة الأخرى التالية ، فتفيد هذه الآية عندهم توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين ، فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته ^(٢) .

(١) الآية / ١٠٤ / من سورة آل عمران .

(٢) راجع هذا المعنى في كل من تفسير ابن كثير (١٩٥/٢ - ١٩٦) وتفسير الرازي

(١٧٧/٢ - ١٧٨) وتفسير القرطبي (١٦٥/٤) وغيرها .

٢ - بعموم قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(١) . فجعلت الآية الدعوة سمة عامة من سمات الأمة المسلمة ، فتكون واجبة عليها جميعاً .

٣ - ويقول عليه السلام : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » ^(٢) . وإن « مَنْ » من ألفاظ العموم فيعم الحكم .

٤ - وبعموم قوله عليه السلام : « لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبِ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مِنْهُ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ » ^(٣) .

واستدل العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلة ، منها :

١ - بأن لفظة « من » في قوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ... ﴾ الآية هي للتبعض ، وذلك بقرينة الأدلة التالية ^(٤) .

٢ - ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ، لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ^(٥) .

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، انظر صحيح مسلم رقم (٤٥) كما أخرجه أصحاب السنن : انظر سنن الترمذي (٢١٧٣) وأبي داود (١١٤٠) والنسائي (١١١/٨) وابن ماجه (٤٠١٣) .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، انظر رقم (٦٧) وفتح الباري (١٥٨/١) .

(٤) راجع هذا المعنى أيضاً في معظم التفاسير التي أشرت إليها سابقاً في الكلام عن القول الأول .

(٥) الآية / ١٢٢ / من سورة التوبة .

٣ - ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال ، وهذا لا يتوفر في جميع المسلمين ، فيكون الواجب على من توفر فيه الشرط ، فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط سقط الإثم عن الباقي . إلى غير ذلك من أدلة .

وقد اختلف العلماء أيضاً في ترجيح أحد القولين على الآخر ، فمنهم من رجح القول الأول ، ومنهم من رجح القول الثاني ، ولا أرى حاجة للدخول في هذه الترجيحات مادام الخلاف في نظري خفيفاً ليس له من أثر عملي كبير ... وذلك لما يلي :

١ - لاتفاق الطرفين على أصل الوجوب .

٢ - ولأن الذين قالوا بالوجوب الكفائي، يتفقون مع الآخرين على أنه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقي ، ويبقى الخطاب متوجهاً إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية ، وإذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع .

٣ - ولأن الذين قالوا بالوجوب العيني ، قيدوا الوجوب بالاستطاعة ، فمن لم يكن عالماً بحكم المنكر لا يُعدُّ مستطيعاً بالاتفاق ، وكذلك من كان عاجزاً عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب ، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد .

٤ - ولأنه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية ، بقي حكم النذب ، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ،

وقال إنني من المسلمين ﴿ ١١ ﴾ . وبغير ذلك من نصوص شرعية ترغب في الدعوة وترتب على فعلها الثواب العظيم .

هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى : إن تصوّر تحقق الكفاية في جانب الدعوة أمرٌ شبه مستحيل ، لأن الدعوة الإسلامية مجالين أساسيين : أ - دعوة غير المسلمين للإسلام .

ب - دعوة المسلمين أنفسهم إلى الإسلام ، على مختلف درجاتهم فيه - كما سيأتي في أصناف المدعوين - .

وكلا المجالين مُتجدّد ، وتستمر الحاجة إلى الدعوة فيه ، ولا يمكن أن تتصور الكفاية فيهما إلا على نطاق نادر ومحدود .

ومن هنا كانت النصيحة مطلوبةً من جميع المسلمين ، بل كان الدينُ النصيحة ، كما صرح بذلك قوله ﷺ : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » (٢) ، وكان التواصل بالحق والتواصي بالصبر شرطين أساسيين من شروط النجاة في الحياة كما صرح بذلك القرآن الكريم في سورة العصر .

ب - بيان موضوع علم الدعوة :

لابد لبيان موضوع علم الدعوة من بيان لموضوع الدعوة نفسها ، وذلك دفعاً للالتباس والتداخل ،

(١) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، انظر صحيح مسلم رقم (٥٥) ، كما أخرجه الترمذي في سننه (١٩٢٧) وأبو داود (٤٩٤٤) والنسائي (١٥٦/٧) .

فإذا نظرنا في تعريف الدعوة الذي اخترناه سابقاً هو « تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة » بأن لنا أن موضوع الدعوة هو (الإسلام) الذي يعمل الداعية على تبليغه وتعليمه وتطبيقه .

وإذا نظرنا في تعريف علم الدعوة الذي عرفناه به سابقاً وهو : « مجموعة القواعد والأصول التي يُتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه وتطبيقه » . بأن لنا بأن موضوعه يشمل جميع المسائل العلمية والقواعد والأصول التي يتوصل بها الداعية إلى القيام بدعوته حق القيام . وهي جميع ما يدرسه طالب علم الدعوة من موضوعات علمية ، أو مواد دراسية ليحصل ذلك العلم . ويمكننا تفصيل هذه الموضوعات والمواد الدراسية في عدة أمور :

١ - تاريخ الدعوة : وهو موضوع يتناول دراسة نشأة الدعوة وتطورها من زمنه ﷺ إلى يومنا هذا ، أو من زمن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا - على اختلاف اصطلاحه في تحديد الزمن - .

٢ - أصول الدعوة : وهو موضوع يتناول بيان أدلة الدعوة ومصادرها ودراسة أركانها بما يشمل : الداعي والمذعو وموضوع الدعوة .

٣ - مناهج الدعوة : وهو موضوع يتناول خطط الدعوة ونظمها المرسومة لها .

٤ - أساليب الدعوة : وهو موضوع يتناول بيان كيفية تطبيق مناهج الدعوة .

٥ - وسائل الدعوة : وهو موضوع يتناول دراسة ما يستخدمه الدعاة

وما يحتاجون إليه في سبيل دعوتهم .

٦ - مشكلات الدعوة وعقباتها : وهو موضوع يقف بالداعية على

المشكلات والعقبات التي تعترض طريق الدعوة ،

وسبل معالجتها ، سواء أكانت عقبات داخلية أم

خارجية .

ولما كانت المداخل العلمية تشمل موضوعات العلوم الأساسية ،

كان كتابنا هذا (المدخل إلى علم الدعوة) شاملاً لجميع هذه الموضوعات

على وجه إجمالي ينسجم مع طبيعة المداخل العلمية .

وأود هنا أن أشير إلى أن هناك من يُدخل موضوع « سير الدعاة

وتراجمهم » في موضوعات علم الدعوة ، نظراً لحاجة الدعاة إلى التعرف

عليها والإفادة منها .

إلا أنني أرى إخراجه عن موضوع علم الدعوة - مع التسليم بأهمية

وضرورة دراسة الدعاة له - وذلك لأن سير الدعاة بوجه عام تشمل :

سيرته ﷺ وسيرة الأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام ، كما تشمل

سيرة صحابته الكرام وتابعيهم ، والتابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا ...

وقد أصبحت السيرة علماً مستقلاً له مؤلفاته الخاصة به ، كما

أصبح علم الرجال والتراجم علماً خاصاً أيضاً له كتبه ومصنفاته ، فيمكن

للدعاة أن يأخذوا سير الدعاة من كتب السيرة والتراجم ، كما يأخذون

علوم القرآن وعلوم الحديث من مصنفاتهما وكتبهما .

وليس من الضروري إدخال كل شيء يحتاج إليه الدعاة في علم

الدعوة ، فالحاجات كثيرة ، والمتطلبات متنوعة ، والترابط بين العلوم

الشرعية أمر قائم - كما بينت سابقاً - .

وبهذا يصبح موضوع علم الدعوة محصوراً في الموضوعات الستة التي ذكرتها ، والتي سنتناول الحديث عنها في هذا المدخل بعد هذا التمهيد إن شاء الله .

* * *

٣ - تحديد مصطلحات علم الدعوة :

إن لكل علم مصطلحاته الخاصة به ، كما أن هناك مصطلحات عامة مشتركة بين العلوم ، وكثيراً ما تتداخل المصطلحات العامة مع المصطلحات الخاصة ، فلا يُدقق المستعملون لها في تحديدها ، إلى أن يأتي وقت تستقر فيه تلك المصطلحات ، وتصبح أعرافاً ثابتة ، عامة كانت أو خاصة .

ومن هنا جاء التداخل والغموض في بعض مصطلحات علم الدعوة عند كثير من الكاتبين فيه ، فمنهم من يستعمل مصطلح « مناهج الدعوة » ويريد بها أصولها وأهدافها ، كما فعل الأستاذ : محمد سرور زين العابدين في كتابه « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » فقد قال في مقدمة كتابه :

« في اختيار عنوان الكتاب : [منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله] قَصِدْتُ الأصول والأهداف الواحدة التي كانت تجمع بين أنبياء الله جميعاً ، وهذا الذي يعنيه كثير من الكتاب في عصرنا ، وكما يقولون : لا مشاحة في الاصطلاحات ، لاسيما إذا كانت لا تتعارض مع تفسير قوله تعالى ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ أي أن أصل الدين واحد والشرائع مختلفة » (١) . هـ .

ومنهم من يستعمل مصطلح الطرق والأساليب الدعوية بما يشمل الوسائل ، كما فعل الأستاذ الدكتور : أحمد بن محمد العدناني في

(١) انظر (٣٦/١) .

كتابه « طرق الدعوة الإسلامية » فعرض فيه الأساليب الدعوية ممزوجة بالوسائل .

ومنهم من استعمل مصطلح (الدعوة) وأراد به (الإسلام) نفسه ، كما فعل الأستاذ محمد أمين حسن في كتابه « خصائص الدعوة الإسلامية » فبعد أن تحدث بإسهاب عن المعنى الأول للدعوة وعرفها بأنها « تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام ، وهدايتهم إليه قولاً وعملاً في كل زمان ومكان ، بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعويين على مختلف أصنافهم وعصورهم »^(١) . وذكر المعنى الثاني للدعوة بأنه « الدين » قال :

« والدعوة بهذا المعنى – أي الثاني – موضوع هذه الرسالة » فذكر خصائص الرسالة الإسلامية وتحدث عن عدد منها »^(٢) .

إلى غير ذلك من تداخلات تورث نوعاً من الاضطراب والغموض في مصطلحات العلم ، وكثيراً ما شعرتُ بأهمية تحديد مصطلحات علم الدعوة ودفع هذه التداخلات خلال مناقشة المناهج والخطط الدراسية لقسم الدعوة في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، حيث كانت تدور مناقشات كثيرة من وراء هذا اللبس والغموض !

لذا رأيت من الضروري تخصيص مبحث في هذا التمهيد لتحديد مصطلحات علم الدعوة ، عسى أن تنال من الدارسين لهذا العلم حقها من المناقشة والتمحيص ، لتأخذ هذه المصطلحات طريقها إلى الاستقرار .

(١) انظر ص : ١٧ .

(٢) انظر ص : ٢١ .

ولعل من أهم وأبرز هذه المصطلحات مايلي :

الدعوة - الداعي - المدعو - الملة - الشريعة - المنهج - أصول الدعوة -
مناهج الدعوة - أساليب الدعوة - وسائل الدعوة -

١ - مصطلح الدعوة :

سبق في تعريفنا للدعوة عند الكلام عن تعريف علم الدعوة ، أن الدعوة تطلق بمعنىين اثنين : أحدهما على الإسلام نفسه ، والآخر عن الدعوة لهذا الإسلام ، وبيننا أن المعنى الثاني هو المراد في مصطلح علم الدعوة ، واخترت في تعريفها أنها :

« تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة »
فلا داعي للإطالة في توضيح هذه المصطلح مرة أخرى .

٢ - مصطلح الداعي :

وهو القائم بالدعوة ، واسم فاعل من دعا يدعو ، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة ، فيقال عمن عُرف بالدعوة « داعية »^(١) . هذا في اللغة ، أما في الاصطلاح : فيمكننا استنتاج المعنى الاصطلاحي له من المعنى المختار للدعوة الذي سبق بيانه ، فنقول : الداعي هو :

« المبلِّغ للإسلام ، والمُعَلِّم له ، والساعي إلى تطبيقه » . فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها ، أو بعمل من أعمالها ، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل .

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (دعا) .

فقد قال الله عز وجل عن رسوله ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وداعياً

إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ﴾ (١) .

وجاء في القرآن الكريم :

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ... ﴾ (٢) .

كما يمكن تعريف الداعي بأنه « المسلم » مطلقاً ، لأن الدعوة وظيفة كل مسلم ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، أنا ومن

اتَّبَعْنِي ﴾ (٣) .

ولكن التعريف الأول يبقى أولى ، وذلك لوضوحه من جهة ، ولأن المسلم قد يُقَصَّر في وظيفته فلا يقوم بالدعوة ، ولا يكون داعية من جهة أخرى .

وسيأتي معنا تفصيل المسائل المتعلقة بالداعي في البحث عن أركان الدعوة إن شاء الله .

٣ - مصطلح المدعو :

المدعو : اسم مفعول من دعاه يدعوه ، فهو : مَدْعُوٌّ .

أما معناه الاصطلاحي : فهو « من تُوجَّه إليه الدعوة » ويمكن أن

(١) الآيات / ٤٥ - ٤٦ / من سورة الأحزاب .

(٢) الآية / ٣١ / من سورة الأحقاف .

(٣) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

يعرف أيضاً بأنه : « الإنسان » مطلقاً ، قريباً كان أو بعيداً ، مسلماً أو غير مسلم ، ذكراً أو أنثى ... إلى غير ذلك من أوصاف .
ويدل لهذا قوله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (٢) .
وما أكثر النداءات القرآنية التي تبدأ بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ !

وسياتي معنا تفصيل المسائل المتعلقة بالمدعو في بحث أركان الدعوة إن شاء الله .

٤ - مصطلح المِلَّة :

المِلَّة تطلق في اللغة ويراد بها « الشريعة والدين ، وفي الحديث : لايتوارث أهل ملتين ، والمِلَّة : الدين ، كملة الإسلام ، والنصرانية ، واليهودية ، وقيل : هي : معظم الدين ، وجملة ما يجيء به الرسل » (٣) .
وفهم من هذا أن كلمة (ملة) تكون مرادفة لكلمة دين أو شريعة ، كما تكون دالة على معظم الدين والشريعة ، قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وما كان من المشركين ﴾ (٤) .

(١) الآية / ٢٨ / من سورة سبأ .

(٢) الآية / ١٥٨ / من سورة الأعراف .

(٣) انظر لسان العرب مادة (مَلَّل) (٦٣١/١١) . و « النهاية » لابن الأثير (٤ / ٣٦٠) .

(٤) الآية / ١٢٣ / من سورة النحل .

وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاهَةٍ نَفْسِهِ ﴾ (١) .

أما في الاصطلاح : فقد أطلقت الملة على « أصل الدين ، أو على جانب العقائد فيه » وعلى هذا القول بأن ملة الأنبياء واحدة ، وملة الكفر واحدة ، كما سُميت كتب بكتب « الملل والنحل » .

فإذا أطلقت « الملة » بمقابل الشريعة والمنهج ، انصرفت إلى « جانب العقائد من الدين » ، وإذا أطلقت وحدها شملت الدين كله .

٥ - مصطلح الشريعة :

الشريعة في اللغة ، والشرعة : « ماسنٌ » الله من الدين ، وأمر به ، كالصوم والصلاة ، والحج والزكاة ، وسائر أعمال البر ، مشتقٌ من : شاطئ البحر ، عن كراع (٢) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ ﴾ (٣) . وقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾ (٤) . قيل في تفسيره :

« الشرعة : الدين ، والمنهاج : الطريق ، وقيل : الشرعة والمنهاج جميعاً : الطريق ، والطريق ههنا : الدين ، ولكن اللفظ إذا اختلف أتى

(١) الآية / ١٣٠ / من سورة البقرة .

(٢) هو « كراع النمل » علي بن الحسن الهنائي الأزدي ، أبو الحسن ، عالم بالعربية ، مصري ، لقَّب بكراع النمل لقصره أو لدمايته ، له كتب ... انظر الأعلام للزركلي (٢٧٢/٤) .

(٣) الآية / ١٨ / من سورة الجاثية .

(٤) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

به بالفاظ يؤكد بها القصة والأمر » . ذكر هذا صاحب « لسان العرب » وأضاف :

« وقال محمد بن يزيد : شرعةٌ ، معناها : ابتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستقيم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : شرعةٌ ومنهاجاً : سبيلاً وسُنَّةً ، وقال قتادة : شرعةٌ ومنهاجاً : الدين الواحد ، والشرعة مختلفة ، وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة ﴾ على دين وملةٍ ومنهاج ، وكل ذلك يقال ... » ^(١) .

أما الشريعة في الاصطلاح : فهي : « مجموعة الأحكام الشرعية الصادرة عن الشارع » تُطلق ويُراد بها الأحكام العملية بمقابل الأحكام العقدية ، كما قد تُطلق ويُراد بها جميع الأحكام الشرعية عقدية كانت أو عملية ، وذلك بحسب السياق .

٦ - مصطلح المنهاج :

المنهاج في اللغة ^(٢) : « الطريق الواضح ، واستنْهَجَ الطريقُ : صار نَهْجاً ، وفي حديث العباس : لم يمِث رسول الله ﷺ حتى ترككم على طريقة ناهجة ، أي : واضحة بينة . والمنهاج كالمنهج ، وفي التنزيل : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ﴾ ^(٣) .

ومن هذا المعنى اللغوي استحدثت كلمة « منهاج » بمعنى : « الخطة

(١) انظر « لسان العرب » مادة (شرع) (١٧٦/٨) .

(٢) انظر « لسان العرب » مادة (نهج) (٣٨٣/٢) ، و « القاموس المحيط » (٢١٨/١) .

(٣) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

المرسومة ، ومنها : منهاج الدراسة ، ومنهاج التعليم ونحوها ، والجمع منهاج « (١) .

ولا يخفى التقارب بين كلمتي « منهاج وسنة » في المعنى ، فكلاهما في اللغة بمعنى الطريقة ، وإن زادت كلمة المنهج عليها باشتمالها على الوضوح .

ويمكن تعريف المنهج والمناهج في الاصطلاح : بأنه « النظام والخطّة المرسومة للشيء » .

ومن الطبيعي أن تكون المناهج والشرائع متعددة ، لأنها أحكام وأوامر ونواهي ، وخطط ونظم وطرق من جهة ، ولتعلقها بجانب العباد الذين تختلف أحوالهم وأوضاعهم زماناً ومكاناً من جهة أخرى ، خلافاً للملة ، فإنها لا تتعدد ، وذلك لتعلقها بجانب الله عز وجل الواحد الأحد .

٧ - مصطلح أصول الدعوة :

أصلُ الشيء في اللغة : أساسه الذي يقوم عليه ، ومنشؤه الذي ينبتُ منه ، وأصول العلوم : قواعدها التي تبنى عليها الأحكام (٢) .

ومن هذه المعاني اللغوية لكلمة أصول ، يمكننا أن نعرف أصول الدعوة في الاصطلاح بما يشمل :

أ - أدلة الدعوة ومصادرها التي تستند إليها ،

ب - أركانها التي تقوم عليها ، ولا توجد إلا بها .

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (نهج) (١٦٦/٢) .

(٢) انظر « المعجم الوسيط » مادة (أصل) (٢٠/١) .

فيصبح تعريف أصول الدعوة : « أدلتها ومصادرها ، وأركانها »
وسياتي تفصيل كل هذه الأمور في محله من الكتاب إن شاء الله تعالى .

٨ - مصطلح مناهج الدعوة :

المناهج : مفردا : منهجٌ ومنهاج ، وقد سبق معنا في المصطلح السادس بيان معنى المنهاج لغة ، وبيننا أنه استحدثت كلمة منهاج بمعنى : (الخطة المرسومة) ، ومنها : منهاج الدراسة ، ومنهاج التعليم ...
ومن هذه التعريفات اللغوية الأصيلة والمستحدثة لكلمة منهاج ، يمكننا أن نعرف مناهج الدعوة في الاصطلاح بأنها :
« نُظُمُ الدعوة ، وخططها المرسومة لها » فيقال :
نظام العقيدة في الإسلام ، ونظام العبادة ، ونظام الاقتصاد ، ونظام السياسة ... وما إلى ذلك ...
كما يقال : نظام تبليغ الإسلام ، ونظام تعليمه ، ونظام تطبيقه ...
وستتناول أنواع المناهج الدعوية ، والمسائل المتعلقة بها في محلها من هذا الكتاب إن شاء الله .

٩ - مصطلح أساليب الدعوة :

الأساليب : جمع أسلوب ، وهو في اللغة : الطريق ، ويقال :
سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه ، وأسلوبُ الكاتب :

طريقته في كتابته ^(١) ، ويقال : أخذ فلان في أساليب في القول : أي أفانين منه ^(٢) .

ومن هذا التعريف اللغوي لكلمة أسلوب ، يمكننا أن نعرف « أسلوب الدعوة » في الاصطلاح ، بأنه : « طريقة الداعي في دعوته » أو « كيفية تطبيق مناهج الدعوة »

فأساليب الدعوة : « الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته » أو « كفاءات تطبيق مناهج الدعوة » .

ولاشترك كل من المنهج والأسلوب في المعنى اللغوي وهو « الطريق » ، يبرز الترابط الوثيق بين المناهج والأساليب من جهة ، كما تبرز الدقة في التفريق بينهما من جهة أخرى .

فالمناهج الدعوية : هي النظم والخطط الدعوية ، والأساليب الدعوية ، هي : كفاءات وطرق تطبيق تلك النظم والخطط الدعوية ، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة زيادة في التوضيح :

إذا كانت العبادة في الإسلام منهجاً ونظماً ، فإن من أساليبها : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج وما إلى ذلك من أشكال تطبيق العبادة ...

وإذا كان الاقتصاد في الإسلام منهجاً ونظماً ، فإن من أساليبه : جميع أشكال التعامل المالي في الإسلام ، من البيع والصرف ، والإجارة والرهن والشركة وما إلى ذلك من أشكال التطبيق ...

(١) انظر « المعجم الوسيط » في مادة (سَلَب) (٤٤٣/١) .

(٢) انظر « لسان العرب » (٤٧٣/١) و « القاموس المحيط » (٨٦/١) .

وإذا كان السَّمْعُ والطاعة في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليب تطبيقه : القيادات الفردية أو الجماعية ، واختيار الإمام ، وتأمير الأمير في السفر وغيره ...

وإذا كانت الشورى في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليب تطبيقها الاستشارات الفردية والجماعية ، والشورى الملزمة ، والشورى المعلّمة ، وما إلى ذلك من تطبيقات ...

وقد جاءت الآية القرآنية مشيرة إلى أنواع أساسية من الأساليب الدعوية ، وأمرة بالأخذ بها ، مثل قوله تعالى :

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .

وقوله سبحانه :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢) .

١٠ - مصطلح وسائل الدعوة :

الوسائل في اللغة : مفردا وسيلة ، والوسيلة : الوصلة ، والاتصال ،

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

وهي في الأصل : ما يُتوصل به إلى الشيء ويتقربُ به ، يُقال : وسَلَ
إليه وسيلةً وتوسَّلَ (١) ...

ومن هذا المعنى اللغوي لكلمة « وسائل » يمكننا تعريف وسائل
الدعوة في الاصطلاح بأنها : « مايتوصل به إلى الدعوة » .

ولما كان مايتوصل به إلى الدعوة عاماً شاملاً لجميع ما يحتاج إليه
الدعاة من أصول الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها ، وكان لكلٍ من
الأصول والمناهج والأساليب معنى اصطلاحى خاص ، قَصَرْنَا المعنى
الاصطلاحى للوسائل الدعوية على ما يستخدمه الداعية للوصول إلى
غايتها ، سواء أكان اتصافاً بصفاتٍ معنوية ، أم كان استعمالاً لأدواتٍ
مادية ، أم قياماً بأعمال تطبيقية ...

فأصبح تعريف وسائل الدعوة هو :

« مايتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية
أو مادية » .

وسياتي تفصيل هذه الأمور في بحث الوسائل من هذا الكتاب إن
شاء الله .

* * *

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (وسل) و (وصل) ، وانظر « النهاية في غريب الحديث »

(١٥٨/٥) و « لسان العرب » (١١ / ٧٢٤ / ٧٢٥) و « القاموس المحيط »

(٦٥/٤) .